المتحف بين التطور والتعدد
رهانات متحف التاريخ أنموذجا

الدكتورة
نعيمة بن عثمان
جامعة تونس. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - تونس
مخبر تاريخ الاقتصاد المتوسطي ومجتمعاتها.

المتحف بين التطور والتعدد
رهانات متحف التاريخ أنموذجا

الدكتورة
نعيمة بن عثمان
جامعة تونس. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ تونس
مخبر تاريخ الاقتصاد المتوسطي ومجتمعاتها.
naima.b.othman@gmail.com

ملخّص:

تطوّر مفهوم المتحف منذ ظهوره المتزامن مع الإنسان أفرز عديد الأشكال والأصناف في إطار مواكبته لرهانات المجتمع المتجدد واضطلاعه بدوره ومهامه المتعددة، فيبرز متحف التاريخ الشكل الأكثر انتشارا في الفترة المعاصرة استجابة لحاجة الإنسان المتنامية لحفظ تاريخه وتراثه وثقافته ويبدو أيضا أنه الأكثر غموضا في تعريفه وتحديده ومن ثمة تصنيفه وذلك لتعدد وتداخل الاختصاصات في مجتمع متحول ومتطلّب ومنفتح على الآخر وتأكّد الحاجة لحماية الذاكرة والهوية.

مفاهيم متطورة – رهانات المجتمع –تنوع وغموض – متحف التاريخ – ذاكرة وهوية.

Résumé :

Evolution de la définition du musée, et ses divers types ; « musée d'histoire » et les enjeux de la société dans le XXIème siècle.

Le musée est un concept lié à l'existence humaine, qui a évoluée constamment à travers son histoire, engendrant plusieurs formes et types muséaux en répondant aux nouveaux enjeux de la société. Certes plusieurs définitions et redéfinitions du musée, ainsi des classifications des divers types et formes, dont la plus remarquable celle du musée d'histoire qui a suscité plusieurs débats. Bien qu'elle soit la forme la plus répandu dans la société du XXIème siècle, comme gardien de l'histoire, du mémoire et de l'identité.

Concepts évolutifs – Diversité et ambigüité – Enjeux sociaux – Musée d'histoire – Mémoire et Identité.

Abstract:

Evolution of the definition of the museum and its various types; the history museum and the challenges of society in the twenty-first century.

The museum is a concept related to human existence that has evolved on constantly throughout history generating several forms and types of museums responding to the new challenges in society

Certainly, several definitions and redefinitions of the museum as well as the classifications of the various types and forms, the most remarkable one is that of the museum of history, which has been the subject of several debates, although it is the most widespread form in XXI century society as guardian of history, memory and identity.

Evolutionary concepts – Diversity and ambiguity – Social issues – History Museum – Memory and Identity.

I. مقدمة

تزامن ظهور فكرة "المتحف" ومفهومه مع المجتمعات القديمة وتطوّر من مكان لعبادة آلهة وربّات الفنون على تلّ الهيليكون في أثينا إلى مكان لتجميع التحف النادرة والمجموعات الأثرية والقطع الفنّيّة والتّاريخية والعلميّة في حوزة مؤسسات عامة أو في قصور ومنازل الأشخاص إلى مؤسسة عمومية تقوم بالبحث عن الشواهد الماديّة للإنسان ولبيئته فتقتنيها وتحفظها وتتيح الإطّلاع عليها وعلى وجه الخصوص تعرضها من أجل أن تجري عليها الدّراسات وتعلّم وتستقرأ. وأصبح للمتحف مجلس دولي للمتاحف الإيكوم (ICOM) يعني بشؤون مؤسسة المتحف وينظم أعمالها ومتعلّقاتها على مستوى عالمي إضافة إلى الجمعيّات والمنظمات الدولية التي تجعل من المتحف مؤسسة على غاية من الأهمية والتأثير.

وتواصل تطوّر المفهوم مواكبة واستجابة لتطور المجتمع ونمائه الذي شمل كلّ المجالات ناهيك عن التّطور التكنولوجي والتقني والعلمي والمعرفي والفكري... وانعكس كلّ ذلك على مؤسسة المتحف –بما هي مرآة عاكسة لصورة المجتمع الذّي تمثّله– التي يتغيّر ويتطوّر مفهومها وبالتّالي تتعدّد أنواعها وأشكالها وتصنيفاتها حتى أصبحنا نتحدّث عن متاحف للعلوم الإنسانية ومتاحف للفنون ومتاحف تقنية وعلمية وأخرى للعلوم الطبيعيّة ومتاحف عالمية ومتاحف وطنية ومتاحف جهويّة وحتى محلّية. بل وظهرت مؤخرا أنواع متطورة من المتاحف كالافتراضية والرقميّة مستفيدة من التكنولوجيا

الرقميّة التي سيطرت على المجتمع الحالي، وهو ما يؤكد القول بأن تعدد أنواع المتاحف هو استجابة لحاجيات المجتمع المتحوّل ورهاناته المتجدّدة وانعكاس له. برز منذ أواخر القرن الماضي تصنيف أو نوع جديد من المتاحف في ظرفية تاريخية اتسمت بتغيرات هامة وهو "متحف التاريخ (Musée d'histoire)" وقد أثار جدلا كبيرا على مستوى عالمي. تناول الجدل إشكالية التسمية والغاية منه والوظائف أو دوره وأيضا أنواعه. وتميّز هذا النوع الجديد بأنه متحف شموليّ، تأليفيّ يستجيب لمتطلبات مجتمع القرن الحادي والعشرين هذا الأخير الذي يشهد سيطرة متنامية للافتراضي واللامادي في إشارة واضحة إلى مفهوم التراث اللامادي الذي يشغل حيزا هاما من المبحث والجدل المتحفي على مستوى عالمي.

II. أساليب البحث

يهدف البحث إلى تعريف المتحف المعاصر في إطار مجتمعه، وأمام تعدّد التعريفات وتنوّع الأصناف والأشكال المتحفيّة يغدو المشهد ضبابيا، فاعتمدنا منهجا تاريخيا في أغلب محاور العمل لتقصّي أولا تطور مفهوم المتحف ثم تعدّد التعريفات والمفاهيم ومحاولة تفسير الأسباب الكامنة وراء ذلك دون إسهاب في المحور الأوّل، خاصة وأننا أمام سياق تاريخيّ تطوّري.

وفي بقية محاور البحث نحاول تقصّي المتاحف التي تحمل تسمية متحف تاريخ، أمام صعوبة إيجاد تعريف محدد ونهائي لهذا الصنف المتداخل مع تصنيفات متباينة، وتحديدا للأشكال المتحفيّة التي تتفرّع عن متاحف التاريخ، طارحين في كل مرة جملة من الأسئلة نسعى لإيجاد إجابات لها. كمساءلة بداياتها وبالبحث في الظرفية التاريخية التي برزت فيها كل متاحف التاريخ وتبين أسباب بعثها وغاياتها أو الرسالة الموكلة لهذه المتاحف، وأيضا تقصّي مجموعات متاحف التاريخ، ورغم تواصل صعوبة التعريف استطعنا تبيّن صفات مشتركة لهذا الصنف قد تجعله الأكثر انتشارا في الفترة الراهنة.

III. إشكاليّة البحث

وفي هذا المضمار، نحاول تناول الإشكاليات التّالية:

- كيف أفرز تغير وتطوّر المجتمع المتواصل تطوّرا لمفهوم المتحف وتعدّدا كبيرا في أشكاله وأنواعه، وهل يمكن الجزم أن تعدد أنواع المتاحف ما هي إلاّ استجابة لمتطلبات المجتمع المتحوّل ودائم التغيّر؟
- كيف تحدّد الغاية والوظيفة والتسمية نوع المتحف؟ وما هي أبرز أنواع المتاحف؟

- ما المقصود بمتحف التاريخ وهل يمكن الحديث عن أصناف وأنواع لهذا المتحف، وما هي الرهانات التي أفرزته؟
- هل يمكن القول أنّ هذا الصنف من المتاحف سيكون المسيطر على أغلب الأنواع أو الأشكال المتحفيّة والممثل الأبرز للمجتمع الرّاهن؟
- إذا كانت المتاحف هي كيان حيّ يولد ينمو ويتطوّر وغالبا يتحوّل لأنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الذي بعثه، هل يمكن أن تكون متاحف التاريخ مجرّد متاحف تقليدية تطورت مع الوقت واكتسبت تسمية جديدة مغايرة للأولي وغيرت مشروعها وبرنامجها العلمي بما يلائم متطلبات المجتمع الراهنة؟

مبحث أوّل: مفهوم المتحف: تصوّرات وتطوّرات عديدة

- **ولادة مفهوم المتحف**

إبتكر الإنسان منذ ظهوره على الأرض عديد المفاهيم التي تضفي معان على وجوده وتميّزه، من بينها مفهوم "المتحف" إذ ترجع البدايات الأولى للمتحف (عملية جمع القطع أو التحف) إلى العصور الحجريّة حيث" تم العثور على بعض القطع المجموعة في مقابر ترجع إلى العصر الحجري، غير أن فكرة إنشاء المتاحف تطورت في الألفيّة الثانية قبل الميلاد في "لاسا" الواقعة في بلاد ما بين النهرين حيث كانت الكتابات القديمة تستنسخ وتستخدم للأغراض التعليمية في المدارس، بالإضافة إلى ذلك توضح الأدلّة الأثرية في مدينة "أور" التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد أن الملكين "نبوخذ نصر" ونابونيداس" كانا يجمعان الآثار. كما عثر على مجموعة من الآثار ترجع إلى ذلك الوقت في غرفة بجوار مدرسة معبد مثبت فيها لوح يصف نقوشا حجريّة قديمة ويمكن اعتبار ذلك اللوح بمثابة بطاقة تعريف متحفي".[1] ولا يخفي هذا العلاقة بين التجميع والمعابد وبالتالي الجانب الروحي العقائدي لفكرة المتحف الأوليّة خاصّة إذا علمنا أنّه تواصل تجميع القطع زمن الإمبراطوريّة الرومانيّة و"كانت المجموعات عبارة عن قرابين وقطع وأعمال فنيّة وعجائب طبيعيّة وقطع غريبة من مختلف أرجاء الإمبراطوريّة غير أنّها كانت عطاء دينيّا في المقام الأوّل في خزّانات داخل المعابد"[2]. ثم ارتبطت المجموعات أو التجميع في القرون الوسطى بقصور الأمراء والكنائس وكانت لها أهمية اقتصادية حيث كانت إيراداتها تستخدم في تمويل الحروب وغير ذلك من نفقات الدّولة. ومع إحياء الإهتمام بالتراث القديم ونتيجة لظهور العائلات من التجّار وأصحاب المصارف تمّ تكوين عدد من المجموعات الرّائعة في أوروبا أشهرها تلك التي بدأت وتطورت مع عائلة

"ميديتشي" (Medecice) بمدينة "فلورنسيا" (Florence) في إيطاليا.[٣]

وقد نفهم من هذا أن المتحف في بداياته كان ذو نزعة نخبوية طالما اقتصرت عملية تجميع القطع وحفظها على الأمراء والتجار والميسورين ورجال الدّين كما لا يخفى الجانب التجاري للمجموعات. وترجع نشأة المتحف في العصر الحديث إلى القرن الخامس عشر ميلادي وذلك حين "أعلن متحف الكابيتول سنة ١٤٧١ إتاحة الزيارة للعامة دون تمييز ليصبح بذلك أول متحف بالمفهوم الحديث"[٤].

١. المتحف: مفهوم دائم التطور

تغيّر وتطور مفهوم المتحف مع مرور الزمن وتنامت أعداده حول العالم خاصّة منذ تكوّن المجلس الدّولي للمتاحف: **الإيكوم** سنة ١٩٤٦[٥].

أ. تعريفاته

أصبح المتحف يعتبر مؤسسة عامة هدفها المحافظة على أشياء توضّح طبيعة وأعمال الإنسان واستخدام هذه الأشياء لتنمية معارف الناس وأذواقهم. ويعرف دستور المجلس الدولي للمتاحف الإيكوم المتحف بأنّه منشأة دائمة تؤسّس لغرض حفظ ودراسة وتقديم المقتنيات الفنيّة والتاريخيّة والعلميّة والتقنيّة بطرق مختلفة وبصورة خاصّة بطريقة العرض على الجمهور بقصد التعليم والتمتّع ويتّسع هذا التعريف ليشمل حدائق الحيوانات ومشاتل النباتات وأحواض الأحياء المائية".[٦]

وبالتمّعن في هذا التعريف نتبيّن أنّ على المتحف أن:

- يكون مؤسّسة دائمة لها مقر دائم وتجهيزات وموظّفين ونظام يحدّد إدارتها.
- يكون في خدمة المجتمع ونموّه الثقافي فالمتحف ينمّي الشعور بالهويّة.
- يحافظ على الموروث الحضاري أي حفظ الشواهد الماديّة للتاريخ.
- يعرض وينشر هذه الشواهد المادية التي بحوزته ويعرف الجمهور بها.
- يسمح للجمهور بقراءة مادية للتاريخ والتراث.
- يوفر المتعة والإقناع للمشاهدة والاكتشاف الثقافي.

وأمام التطور السريع الذي يشهده العالم والمستجدات الحاصلة على جميع الأصعدة فقد برزت المتحفة الجديدة أو علم المتاحف الجديد الذي يترجم حاجيات المتاحف وانتظارات المجتمع منه، فتطوّر مفهوم المتحف بشكل واسع وملفت وأصبحنا نتحدث عن تعريفات وإعادة التعريف.

لقد عرّف المتحف سنة ١٩٤٦ كالتالّي " يشير لفظ المتحف لكلّ المجموعات والوثائق الفنيّة والتقنيّة والعلميّة والتاريخيّة أو الأثريّة، مفتوحة للعموم بما في ذلك حدائق الحيوانات والنباتات

باستثناء المكتبات عدا تلك التي تضم قاعات عرض دائمة."[٧] ثم أتبع بسبعة تحيينات لتعريفه من قبل مجلس الإيكوم الذي يعرفه سنة ٢٠٠٧ كالتّالي " مؤسسة دائمة وغير ربحيّة، تعمل في خدمة المجتمع وتنميته، مفتوحة للعموم وتقوم بالاقتناء وحفظ ودراسة وتحقيق التواصل والعرض للتراث المادي وغير المادي للبشريّة والبيئة المحيطة، وذلك بغرض الدّراسة والتعليم والإمتاع." [٨]

ما نلحظه في كلّ تعريف للمتحف اعتمده المجلس الدّولي للمتاحف (إيكوم) واللجنة الدولية للمتحفة أو لعلم لمتاحف (إيكوفوم) التأكيد المستمر على أن المتحف هو مؤسسة في خدمة المجتمع. كيف نفسر تعدد هذه التعريفات؟

تبدو أسباب إعادة التعريف وتحيينه متعددة غالبا مرتبطة بتغير وتوسيع الإنتظارات ورهاناته تجاه المجتمع ولمزيد ضبط عمله ومشمولاته أو توسيع تعريف التراث الثقافي والطبيعي كذلك بروز مقاربات متحفيّة جديدة ووجهات نظر مختلفة بعلاقة مع تطور الزمن وبروز علوم وتقنيات وتكنولوجيا متطوّرة.

ب. وظائفه ومهامه

تمثّل وظائف المتحف محور العمل حول المجموعة المتحفيّة، والتي حدّدها التعريف المذكور سابقا بنطاق واسع شامل يشمل كل ما خلّفه الإنسان والبيئة المحيطة به. وهي ستّ وظائف: الاقتناء، التوثيق والتسجيل، العناية، الدّراسة، العرض، الشرح والإيضاح، وهي وظائف بعلاقة مباشرة مع أوكد مهامه، حسب نفس التعريف الرّسمي للمتحف، وهي خدمة المجتمع وتنميته ويشمل هذا جلّ المجالات: الاجتماعيّة والثقافيّة والتنشيطية والتعليميّة التربوية والاقتصاديّة والصحيّة والترفيهيّة.

فالوظيفة الحمائيّة تتمثّل في حماية المجموعات (الأثر المادي للتاريخ أو للثقافة أو التراث اللامادي)، لذلك وجدت الأمانات والخزن والصّيانة والترميم والتوثيق داخل المتحف، وهي وظيفة لا يمكن فصلها عن الوظيفة العلميّة والتربويّة طالما تعتبر المجموعات مصدرا ومادة أوّليّة للمعرفة. وقد تكون هذه المهمّة هي السّبب الرّئيسي في تعدّد الاختصاصات المتحفيّة وازدهار علم الآثار في حدّ ذاته وتعدّد طرق العرض والقراءات التي تعتبر جوهر العمليّة التربويّة ونقل المعرفة للعموم في إطار ترفيهيّ تنشيطيّ ييسّر تقبّل رسالة المتحف.

ويعتبر المتحف هو مؤسسة إجتماعيّة ثقافيّة متجذّرة في المدينة، تمنح الوصول إلى ثراء التاريخ في مختلف أوجهه وتساهم في تطوير الذكاء والحسّ لدي جماهيرها التي هي السبب الرئيسي في وجودها. لكن التعريف بالمتحف نفسه يجب أن يتسع ليشمل جوانب أخرى. المتحف يعتبر محرّكا قويّا للتقدّم الاجتماعي وله

دور سياسي بالمعنى الأول للكلمة، هو مكان التقاء ومواجهة وتبادل التساؤلات وتحاور وبهذا المعنى يؤدّي وظيفة سياسيّة، وهو ما سنتعمّق في تبيانه لاحقا، إلى جانب التأكيد على دور المتحف في الحفاظ على الهويّة والذّاكرة الجماعيّة وتجذير الحسّ الوطني حتى أنّه قد يصبح أداة سياسية.

وقد تفيد الرغبة في الإستفادة من المجموعات المتحفيّة في التنشيط الثقافي ورسم الخطط التنمويّة لتيسير الإندماج في المجتمع وتوظيف المادّة الثقافيّة والحضاريّة والاجتماعيّة في القطاع السياحي إلى الدور الإقتصادي الذّي قد يلعبه المتحف سواء من خلال العائدات الماليّة التي توفرها زيارة المتحف والمواقع الأثرية والمعالم التاريخيّة ومختلف عروضه أو من خلال توفيره لموارد رزق لموظّفيه وعملته.

٢. المتحف ورهانات مجتمع التكنولوجيا الرقمية

تعدّ مهام المتحف في حدّ ذاتها رهاناته بما هو مؤسسة اجتماعية أساسا ومواكبا لكل ما يحدث في مجتمعه من تغييرات وتطورات، ومن ناحية أخرى تعتبر الانترنت والتكنولوجيا الرقميّة والتقنيّة العنوان العريض للقرن الحادي والعشرين وبالتالي إسهام هذه التكنولوجيا، إضافة إلى متغيرات أخرى، في تسهيل مهام المتحف وإحداث نقلة نوعيّة في المتحفة. سنورد مجمل الرهانات في عصر التكنولوجيا الرقمية تباعا:

أ. الانترنت والتطور التقني والتكنولوجي الرقمي: ثورة في وظائف المتحف وانتشار وتواصل

مكّنت الانترنت والتطور التقني والتكنولوجي الرقمي المتحف من طفرة نوعيّة وبلوغ مرحلة جديدة متطورة بل أحدث ثورة في وظائفه الكلاسيكيّة (من الحفظ إلى الإدارة والبحث وخاصة التواصل) ومهامه لدرجة تحوّله جذريّا في السنوات الرّاهنة. كمّ ودفق هائل من المعلومات[٩]، التي يسهل الوصول إليها وتوزيعها، فالانترنت قناة فريدة للاتصال بالجماهير والانتشار، وبالتالي نجاح المتحف في إيصال رسالته. دون أن ننسى العولمة التي شملت المجال الثّقافي وما تفرضه من انتشار سريع ويسر في التواصل.

ب. تطور مفهوم التراث وعدد المتاحف عبر العالم

ترجم الإهتمام المتنامي بالتراث بمزيد من الإستراتيجيّات والسّياسات الرامية للمحافظة عليه وتثمينه وإبراز أشكال جديدة منه: الثقافة الماديّة والأشياء المعاصرة، والتراث اللامادي، والمشاهد الطبيعية، واللغات، والعادات والتقاليد[١٠]. ونشير هنا إلى الاهتمام بالثروات الإنسانيّة الحيّة وما

تلاها من تبنّي معاهدة واتفاقيّة سنة ٢٠٠٣ لحماية التراث اللامادي.

تطوّر عدد المتاحف عبر العالم خلال العشريّات الأربع الأخيرة، إذ مرّ عددها من ٢٢٠٠ متحف سنة ١٩٧٥ إلى ٤٩٠٠ متحف سنة ٢٠٠٤ وأكثر من ٥٥٠٠٠ متحف سنة ٢٠١٢، وتنامي العدد هذا يحمل في طيّاته تعدّدا وتنوّعا في أصنافه[١١]. ويرجع هذا إلى ما سبق ذكره من استفادة المتحف من التكنولوجيا والاستراتيجيات الجديدة والتحوّلات التي طرأت على المجتمع.

ج. المستجدّات

مثّل تأكّد ورسوخ الدور الاجتماعي للمتحف لحظة هامة للوعي الخاص بالدور الاجتماعي للمتحف ومفهوم المتحف المتكامل (Musée intégré) المرتبط به، والتأكيد على دور المتحف في التفكير في القضايا ورهانات المجتمع وتطوّره من خلال مقاربات متعدّدة التخصّصات. فبرزت توجّهات جديدة تدعو إلى أن يكون للمتحف دور فعّال في مجمل المسائل والمشاكل المطروحة في المجتمع ليعالجها بطريقة تحليلية ونقديّة بالتعويل على الوعي والمبادرة الخلاّقة للسكّان أنفسهم. بالإضافة إلى التحوّل التجاري للمتاحف ودورها الاقتصادي وتطوير السياحة[١٢]. كل هذه المستجدّات تتنزّل في إطار تفاعل المتحف والمتغيرات التي شملت معظم المجالات دون استثناء.

٣. تصنيفات المتحف

أفرز تطوّر المتحف وتحوّله عبر التاريخ وارتباطه بالمجتمع الذي بعثه في إطار قيامه بوظائفه والأدوار المنوطة به إلى بروز عديد المتاحف ومحاولات تصنيفها. وكما تعددت التعريفات تعددت كذلك التصنيفات من ذلك تقسيم المختص جورج هنري ريفيير (Georges Henri Rivière) إلى أربع مجموعات كبرى:

- متاحف الفنون (متاحف: الفنون التطبيقية، المشاهد المسرحية، الموسيقى والرقص، التصوير والسينما، العمارة)
- متاحف العلوم الإنسانية (التاريخ والآثار وعصور ما قبل التاريخ، الاثنولوجية والانثروبولوجية والفكلور، التعليمية، الطبية...)
- متاحف علوم الطبيعة
- متاحف العلوم والتقنيات

ولكن هناك تصنيفات أخرى تعتمد مقاييس مغايرة وأكثر تخصّصا ودقّة وترتكز على معايير جديدة، كما برز بفضل التطور التكنولوجي صنف جديد للمتاحف وهو المتاحف الافتراضيّة والرقمية مما زاد أمر تصنيفها تعقيدا. ومن هذه التصنيفات تصنيف حسب المجموعات المتحفيّة: مستدامة (المجموعات الأرشيفية، الثقافية والطبيعية) وغير مستدامة (المجموعات

اللاّمادية، الافتراضية والمستهلكة). كما هناك تصنيف يعتمد على رسالة المتحف، وآخر يعتمد على الجمهور المتلقي في تصنيف المتاحف، إلى جانب اعتماد مدى اشعاع المتحف الجغرافي والمجال الذي يهتم به كمقياس تصنيف فنجد متاحف دولية، ووطنيّة، وإقليميّة ومحلية...(الخ).

في ختام هذا المبحث سنعرض عوامل تأسيس المتاحف بما هي محدّد بالغ الأهمية في أهداف المتحف ومهامه التي يسعى لتحقيقها وهي تباعا:

– الحنين إلى الماضي وحرص الإنسان على كلّ ما يتعلّق بالتراث والأشياء الآخذة في الزوال والإنقراض. الحفائر والتنقيب على الآثار وحرص الإنسان بطبيعته على جمع ما هو جميل وقديم ولا سيما الآثار والتحف النادرة. إلى جانب اهتمام الشعوب بتخليد رموزها العظماء في مجال الفكر والفن والعلم والأدب والسياحة...

– زيادة الوعي بدور المتحف في تقدم وازدهار المجتمع واهتمام المسؤولين في الدولة بالفنون خاصة المعروفة بالفنون الشعبية والأشغال اليدويّة.

– إنشاء الدراسات الأكاديمية لتحديث وتطوير العلوم المتحفيّة. وزيادة عدد المتاحف وتطوّرها تعتبرمن معايير تقدّم الأمم ورقيّها.

– السياحة بأنواعها: ثقافية، دينيّة، ترفيهية... والحفاظ على التراث بأنواعه وتوريثه إلى الأجيال المقبلة.

لئن كان التراث الثقافي البشري يعكس التجربة التاريخيّة لمجتمع ما ويعبّر عن شخصيّته الجماعيّة مما يجعله أساس الهويّة بالنسبة للفرد والمجموعة فان تركيز متحف يقدّم هذا التراث الثقافي بمختلف أوجهه (المادي واللاّمادي والتراث الطبيعي) يغدو ضرورة يفرضها هدف المحافظة على هذا التراث. فأي المتاحف نريد للأجيال القادمة؟ وأي متحف نروم تعريفه؟

مبحث ثاني: متحف التاريخ بين تقصّي التصنيف ورهانات المجتمع المعاصر[١٣]

يبدو من الضروري وقبل الخوض في تعريف ماهية متحف التاريخ، تعريف مصطلح التاريخ نفسه وعلم التاريخ لما له من فائدة إيضاحية. لقد تعددت التعريفات لمصطلح التاريخ بما هو أحد العلوم الإنسانية حسب التوجهات الفكريّة أو المدارس المنهجيّة للباحثين، فهو "الحاجة التي تبديها جماعة بشرية في كل هنيهة من تطورها، بأن تفتّش وتضع موضع التقويم وقائع الماضي والأحداث والتوجيهات التي تهيئ الزمن الحاضر والتي تسمح بفهمه وتساعد على عيشه"[١٤]. والتاريخ هو دراسة الحوادث، والحوادث جمع

حادث وهو كل ما يطرأ من تغيير على البشر وعلى الأرض في الكون متصلا بحياة البشر. والتاريخ هو الزمن، وهو أيضا حوار بين الماضي والحاضر، وموضوعه هو الإنسان والزمن ذلك أن الإنسان لا يفهم نفسه وحاضره دون أن يفهم ماضيه باعتباره كائن اجتماعيّا[١٥]. وهو تجربة بشرية تتطوّر بشكل متّصل ومتماسك[١٦].

فارتباط المتحف ليس فقط بالرغبة في التجميع لدى الإنسان أو بالبعد الروحيّ لديه بل بالبعد الاجتماعيّ وبعلاقة بمجاله بل أيضا هو انعكاس لعلاقة الإنسان بالمكان والزمان، وكأننا بالمتحف هنا أداة تفسير لكينونة الإنسان ووجوده إذ فيه الماضي الذي يؤسّس بشكل ما للحاضر ثمّ للمستقبل: أحداث ووقائع وشخصيات وأماكن وطبيعة، أي انعكاس تفاعل الإنسان مع مجاله في زمن ما.

١. متحف التّاريخ وضبابيّة المفاهيم

إن لفظي متحف و تاريخ ملتصقان لا ينفصلان حتى أنه لدى البعض كلمة متحف تعني بالضرورة متحف للتّاريخ، أي مكان لحفظ التّاريخ ومتعلقاته (لقى أثرية، تراث ثقافي...) وحسب ما ذكرنا آنفا من تصنيفات المتاحف وتعدد انواعها تبرز أهمية المقياس المعتمد في تحديد نوع وصنف المتحف (حسب مجموعاته، أو إشعاعه الجغرافي، أو إختصاصه...) مثلا المتحف الأركيولوجي هو متحف موضوعه واختصاصه الآثار واللقى، ومتحف العرق أو الإثنولوجي موضوع تخصصه هو العرق والإثنية... فهل نكتفي باعتماد هذا المعيار أي الموضوع والتخصص دون غيره في تحديد ماهية متحف التاريخ رغم أنّ كل المتاحف بشكل أو بآخر تعرض تاريخ مجموعاتها؟[١٧]. إذا سلّمنا أنّ تخصص التاريخ هو المؤسّس للمتاحف ككل فلا يمكن أن يكون مقياسا محددا للتعريف وللتصنيف أي أنّه "أبعد ما يكون معرّفا ومقياسا وبالذات لمتحف التاريخ"[١٨]. وفي سعينا هذا من المفيد أن نقارن بين أشكال وأنواع متاحف العلوم الإنسانية مثل المتاحف الإثنية، الآثار، المدن، المجتمع والحضارة.

فهل تعرّف المجموعات متحف التاريخ؟

نجد في متاحف التّاريخ مجموعات شديدة التنوع مثال " متاحف التّاريخ المحلّي التي تعرض مجموعات أثرية ومجموعات اثنية من أدوات وملابس ومشاهد للمدينة وصور ومجسمات لشخصيات مهمّة وتوقيعات ووثائق تاريخية وأسلحة وخزف محلي..."[١٩]. وبالتالي تنوع كبير للمجموعات هذا المتحف – بما هو متحف تاريخ – تتشابه فيه مع مجموعات أنواع متاحف أخرى فتتداخل التعريفات، وعليه يبدو مقياس مجموعات المتحف لا يمكن أن يقدّم تعريفا واضحا وتصنيفا لمتحف التاريخ.

وهل تحدّد مهمة المتحف تصنيفه كمتحف تاريخ أو غيره؟ أم هو تصوّر المتحف وتصميمه من يحدد صنفه ونوعه؟

إنّ تناولنا لمثال متحف المجال في هذا السّياق مردّه تنوّع مجموعات متحف المجال التي من الممكن أن تكون مجموعات تعرض في متاحف أخرى غير متحف التّاريخ أو متحف المجال، وهو ما يؤكّد صعوبة اعتماد المجموعات كمرتكز لتصنيف المتاحف وفي ذات الوقت تأكيد على خصوصيّة متحف التاريخ المتمثّلة في تنوّع مجموعاته المعروضة (الماديّة واللاّماديّة والطبيعية).

- متحف المجال (Musée de territoire)، هل يختزل متاحف التاريخ؟

متحف المجال هو عبارة عن مجال جغرافي مهيّأ جزئيا أو بعمق حيث المفهوم الأساسي هو التراث، المنهجيات والوظائف يمكن أن تتنوّع لكن السمة الأساسيّة هي دراسة علاقات تزامن وتقاطع بين مختلف مكونات المجموعة.

ويتضمن هذا الصنف متحف الفضاء المفتوح (Musée de plein air)، المعالم والمواقع التاريخية والعلمية، الحدائق والمعالم الطبيعية، المواقع التراثية والمتحف البيئي (ecomusée).[٢٠] بمعنى أن هذا المتحف المجاليّ بما هو متحف تاريخ يضم مجموعة من المتاحف تصنّف كمحتف مجال وبالتالي متحف التاريخ. بمعنى آخر كل متحف يصنّف كمتحف مجال هو ضرورة متحف تاريخ حسب هذا التعريف.

ونلفت الإنتباه هنا أنّ "المجال كرمز هوياتي لمجموعة أو مجتمع ما يمكن أن يكون موضوع تقديم وتمثّل وإرسال أو نقل للتراث"[٢١]. أي أنّ المجتمعات المتواجدة تصنع وتبني عبر تاريخها تمثّلات جماعيّة ودائمة لمجالهم أو فضائهم تشكّل وظيفة هويّاتيّة وتدعم الترابط الإجتماعي، وهو ما يفسّر أهمية هذا النوع من متاحف التاريخ لكل مجتمع مجالي، خاصة إذا علمنا أن هذه التمثّلات الجماعيّة أو الجمعيّة التي بنيت وشكّلت عبر التّاريخ تتضمن وتشمل التراث الماديّ واللاماديّ وكل موروثهم الثقافي والطبيعي أي كل مدلولات ومعاني مفاهيم الإرث والتراث"[٢٢]. ورغم ذلك إذا استعدنا تصنيفنا، متحف التاريخ هو متحف مجاليّ أين الحاضر يبرر مقاربة الماضي. فهي متاحف جامدة تجاوزها الزمن[٢٣].

متحف المجال هذا يعكس التمثّلات الجمعيّة المتكوّنة عبر التاريخ، ويمكن أن يلعب دورا رياديّا في توحيد مجموعات تعيش على نفس المجال مثل الدور الذي لعبه متحف "بون " بألمانيا في توحيدها.

جمع متحف المجال الأصناف الأخرى من متاحف التّاريخ: متحف الفترة التاريخيّة، متحف

الأحداث التاريخية، متحف الشخصيات متحف الموضوع المتخصص، ونذكّر هنا أن أساس وقاعدة متاحف التّاريخ يبقى شكله الأوّل أي متحف مجال. نستطيع أن نفهم أكثر ومن خلال إحصائيات متاحف فرنسا أين " نجد مجموعة متغيرة من ٨٠٠ متحف تهيمن عيها متاحف المجال، ٢٥٠ منها متاحف متخصّصة، ٢٠٠ متاحف تراث تاريخيّة، ١٩٠ متاحف شخصيّات"[٢٤]. ونرجع هذا إلى أنّ متاحف المجال تعطينا نظرة شموليّة على تاريخ مجال ما، وتمكننا من تبين خصوصيّة وتفاصيل هذا المجال طالما تتناول كل تاريخه. وأنّنا أمام إتّفاق ضمنيّ بأن يعرف متحف المجال كمتحف التّاريخ، فهو في ذات الوقت متحف موضوع متخصّص (موضوعه تاريخ مجال معين)، وهو متحف رموز أو شخصيّات (طالما يحتفي برموز تاريخ المجال)، وهو متحف فترة تاريخيّة (لتناوله مختلف فترات أو مرحلة تاريخيّة لنفس المجال)، وهو أيضا متحف حرف ومهن المجال، وبالتّالي هو يجمع كل الأصناف التي عرّفت كمتاحف تاريخ وهو ما يجعلنا نستخلص أنّ كلّ متحف تاريخ هو متحف مجال والعكس صحيح.

فهل يكون العكس صحيحا في متحف الشخصيّات، وكيف يكون متحف التّاريخ متحفا دلاليّا توضيحيّا، متحفا لقضيّة أو موضوع ثم متحفا تأليفيّا شموليّا؟

٢. أصنافه: متى نتحدّث عن متحف تاريخ؟

إنّ المتاحف التاريخيّة هي المتاحف التي تستعرض تاريخ البشريّة، وما دار بها من أحداث. وهي معنيّة بجمع وحفظ ودراسة وعرض الأهداف العامة للثقافة الماديّة والمعنويّة التي تعكس تطور المجتمع البشري، والتي يستدل منها على الوضع التاريخي لبلد أو مكان ما في فترة زمنيّة معيّنة أو على مدار تاريخها، أو ربما لحدث تاريخي هام، كذلك المتاحف التي تحكي تاريخ معركة أو حدث ما. قد تكون المتاحف التاريخية ذات طبيعة عامة، ومكرّسة لتاريخ بلد أو مدينة، أو للفروع المستقلة للعلوم الإنسانية مثل المتاحف التي تركز على التاريخ العسكري، الرياضة، أو لتاريخ حرفة أو مهنة أو صناعة ما. وقد تكرّس لفترات تاريخية محدّدة[٢٥]. نلاحظ أن هناك أصناف متاحف تاريخ رئيسيّة وتتفرّع عنها أصناف أخرى قد تتداخل تعريفاتها ضمن أصناف أخرى من المتاحف.

يتحدث مؤسس الجمعية الدوليّة لمتاحف التاريخ عن أربعة أنواع من المتاحف التي يمكن تصنيفها كمتاحف تاريخ " إذا أردنا أن نحدد ما يمكن اعتباره متحف تاريخ نجد في أوروبا وفي العالم أربع فئات: المتاحف المجاليّة (Musées Territoire) متاحف الفترات أو الحقب

التاريخية، متاحف الموضوعات (Musées Thémathiques) ومتاحف الشخصيّات (Musées Biographiques)"[٢٦]. فمتحف الموضوع أو الاختصاص هو الذي يهتم بموضوع محدد مثلا الموانئ، الأسلحة، الفن. ولكنّه قد ينحرف نحو المتاحف العلمية أو التقنية كما يوجه النقد لهذا النوع من المتاحف كونها تبقى وتعرض قطعا ومجموعات أكثر من شرحها لتاريخ المؤسّسة وهي غالبا لا تتجاوز حدود مجموعاتها. ونشير هنا إلى دور وأهميّة الرسالة الموكلة لمتحف التّاريخ. يمكن أن نحاول إيجاد مقاييس أخرى أو علامات لتمييز متحف التّاريخ كأن نعتمد على التّصور الأوّل ساعة إنشاء المتحف، وطريقة عمله ومنهجه، فنتبيّن ثلاثة مناهج عمل متحفي نوردها في ما يلي.

أ. متحف دلالي توضيحي (Musée Démonstratif)

تستمدّ متاحف التّاريخ أهميتها من " إتّصالها بجوانب حسّاسة، فالتّاريخ رهان هام، وإن كان ماضي يتم استخدامه في العروض الخاصّة لبرهنة الحاضر"[٢٧]، بهذه الطريقة " كل شيء يعتمد على ما نريد تنفيذه وإبرازه عندما يتعلق الأمر بتبرير وشرح تاريخ هويّة مجتمع ما فتتّبع الكثير من المتاحف التذكارية نهجا توضيحيّا[٢٨] ، ومن جهة أخرى أغلب المتاحف التوضيحية هي تلك التي بعثت لغايات وأهداف إيديولوجية (Idéologie) ولها برامج علميّة محددة سلفا، وهو ما يفسر ارتباط ظهور المتاحف التوضيحيّة بموجة متاحف الهويّة خلال فترة بناء الدول القوميّة، وما لوحظ خلال سبعينات وثمانينات القرن الماضي وانتشار هذا الصنف من متاحف التّاريخ ما يؤكد الغاية الإيديولوجية والسياسيّة لهذا الصنف.

كذلك الشأن بالنسبة لمتاحف المجال وازدهارها في نفس الفترة التّاريخيّة لنفس الغاية والمهمّة وهي تمجيد الأصول والأجداد والهويّة الوطنيّة أو الإنتماء إلى إقليم واحد يجمع هذه المجتمعات الوطنيّة ويوحّدها. ويكفي هنا أن نشير إلى تعريف متاحف الهواء الطلق والمتحف البيئي وجميع المتاحف الإقليميّة لنفهم أنّها ليست سوى متاحف توضيحيّة. لتبرز أهمية الإطار التّاريخي في خلق وبعث المتحف وتأثيره على تصنيفه لاحقا. كما نتبيّن العلاقة أو التداخل بين متحف المجال ومتحف الهويّة وصنف المتاحف التوضيحيّة.

ب. متحف المسألة أو إشكالية (Musée Problèmatique)

علم التّاريخ كما ذكرنا أعلاه هو إعادة بناء إشكاليّة للماضي، فالبعد النّقدي يبقى جوهريّا ينطبق على مواجهة المعارف ومساءلة القطع المعروضة. بينما التنظيم العام يجب أن يكون واضحا ويحمل رسائل مقتضبة، غالبا يتبع

التنظيم الزمني (الكرونولوجي) وهو تنظيم أثبت نجاعته وأفضليته لدى الجمهور، ويتم إدراج موضوعات ومسائل قابلة للقراءة في تسلسل زمني. فطبيعة العلوم التاريخيّة كما تطورت لا يمكن إلا أن تلهم متاحف إشكاليّة، حتى وإن كان على نواقل أو محامل فرجويّة. وهذا يعني أنّ الأسئلة حول التّاريخ ربما لا تستثنى من تأثيرات الحاضر. ولكنّه ليس واجبا علميّا ومهنيّا للمتاحف التوضيحيّة بل واجبا ديمقراطيّا تجاه جميع السكان، والعرض الإشكالي وحده كفيل بمنع الوقوع في لوحات الشعارات التي لا يمكن أن تثير جدلا واسعا. إنّ الغرض من التاريخ كعلم هو فهم السبب وكيفيّة ما مضى أي أنه يدرس ظرفية هذا الماضي وحيثياته لذلك يطرح قضاياه ويدرسها. هناك إصرار على أنّ المتاحف التي توصف وتصنف على أنها متاحف تاريخ هي التي تطرح التساؤل وتعالج إشكالية ما، وهذا هو أساس علم التاريخ [٢٩].

ج. **متحف تأليفي (Musée de Synthèse)**

رأينا أنّ لصنف متاحف التّاريخ تقسيمات ثانويّة أخرى ولكن يجب أن يكون لهذا التنوّع نقاط مشتركة، طبعا لدينا ناقل التّاريخ الذي يجمعها ويوحدها. ويبدو أن متحف التّاريخ ينظر إليه على أنّه مكان إلتقاء ونشر نواقل ومحامل التّأريخ والتقاء للتاريخ المحلّي والوطني ثمّ الدولي. إلتقاء الجماهير من خلال العروض المجمّعة حول مواضيع شائعة وأخرى حديثة ومتطورة وموجّهة وهي نقطة أساسيّة يمكنها إرسال رسائل مهمة حول الحياة الجماعيّة أو التعايش في نفس الوقت وبنفس التذكرة يمكن التعامل مع جوانب أكثر تخصصا وتناولها[٣٠]. وهو ما يفسر أن هكذا متحف هو متحف شمولي متعدّد الجوانب والاستعمالات وتأليفي صالح لتوجّهات متعدّدة ووظائف متنوّعة، فيبرز متحف التّاريخ عند تقاطع الأنواع أو الأصناف مدمجا للفنون الجميلة كعنصر مهم في فترة ما، دون إنكار خصوصية المتعة والجماليّة في العمل، مسلطا الضوء على الفنون الزخرفيّة أو الفنون التطبيقية، مقدّما قطعا أثرية ولا يهمل جوانب الحياة اليومية[٣١].

لذا فإنّ هذا النوع من المتاحف هو متحف تأليفي مهمّته ربط شروط الحياة في المجتمع، ويمكن أن يكون في نفس الوقت متحف اثنوغرافي، متحف فنون جميلة، متحف تاريخ اجتماعي، متحف شخصيّة، متحف جغرافي، متحف اقتصادي... (الخ) يقوم بالتوليف أوالتأليف. ليبرز في النهاية متحفا تأليفيّا بشكل دائم. وحتى التصنيفات المتفرعة لما اعتبر كمتحف تاريخ تؤكد فكرة أنه متحف تأليفيّ خاصة عند التمعن في متحف المجال الذي لا يمكن أن يكون سوى متحفا تأليفيا[٣٢]. وفي نفس السياق يمكن لنا القول

أنّ متحف التّاريخ هو "وسيط" بأتمّ معنى الكلمة، فمن خلال تجربة جمالية عملية يقدّم وساطة للعالم المعاش.

٣. رهاناته

تعتبر رهانات المتحف رهانات المجتمع نفسه أو المهام التي كلّف بها، وإلى جانب المهام الثّابتة لكلّ متحف هناك مهام مميزة وذات أولويّة حسب الغاية التي خلق المتحف من اجلها أو رسالته، تلك التي يحملها في اسمه وضمن تصنيفه، ونحن نبحث هنا عن رهان متحف التاريخ ورسالته.

أ. متحف للذّاكرة

ارتبط مفهوم المتحف كما هو معلوم بالحفاظ على التراث الثقافيّ، ومتحف التّاريخ كما تدلّ التسمية لحفظ وعرض التاريخ بمختلف مكوناته ومدلولاته (أحداث، شخصيّات، فترات تاريخية ...). وعليه فإنّ التبئير على موضوع أو مسألة ضمن علم التّاريخ من قبل المتحف –بما أنّ التّاريخ يعلمنا ويعطينا معلومات عن حياة الأفراد والمجتمع والإنسانية–تجعل هذا الصنف شاهدا موضوعيّا لا يقبل الجدل على حياة مجتمع إنساني عبر تاريخه، ويحفظ الذاكرة للأجيال القادمة. وبالنظر إلى التطور السريع للمجتمع الراهن حيث أصبحت الذاكرة قصيرة المدى مما يجعل مسألة حفظ الذاكرة الجماعيّة أكثر إلحاحا لضمان نقلها إلى الأجيال القادمة.

وفي هذا الإطار واستجابة لهذا المطلب ولضمان استمرارية التاريخ والذاكرة وجد متحف التاريخ. نعلم أن كل متحف هو مكان للذاكرة، لكن متاحف التاريخ تحديدا "هي مخازن للذاكرة حيث يحفظ المجتمع الأشياء التي لا يجرؤ على التخلص منها والتي لا يريد رؤيتها تختفي تماما، ومع مرور الوقت يتواصل الاحتفاء بها وتثمينها"[٣٣]، ومن جهة أخرى "أن نؤرخ هو أن نحفظ الذاكرة، والمتحف بما هو معلم وظيفته تعبئة الذاكرة الجماعية ويخلق استمرارية زمنية لها، حيث الذاكرة الجماعية لا تعطى بل تفرض وتقنّن"[٣٤].

تسمى متاحف الشخصيّات متاحف تذكارية لأنها تخلّد ذكرى شخص رمز، كذلك متاحف الأحداث أو الفترات التاريخية هي تكريس لذاكرة ثم لهويّة وأبرز مثال هنا متاحف المحرقة أو الهولوكوست (L'holocauste)التي تحفظ ذاكرة يهود أوروبا زمن الاضطهاد النازي فترة الحرب العالمية الثانية و"تتمثل مهمّتها في تتبع الماضي المؤلم الذي يقوم عليه مجتمع ما"[٣٥]. وهنا لا نستثني المهمّة الإيديولوجية أو السياسيّة في إطار الدعاية الصهيونيةّ وتلك التي تدين معاداة الساميّة، ولا يخفى علينا جميعا دور تلك الأحداث التي ميزت القرن الماضي وتاريخنا المعاصر. ولكن في هذه الحالة "تأخذ المعرفة التاريخيّة مقعدا خلفيا لفائدة العاطفة التي يجب

أن تسود وأن تذهل أذهان الزوار حتى يحتفظوا بذكرى هذه الأحداث ويشيدون بالضحايا" ويتعاطفون معهم، وفي الحقيقة الكثير من متاحف التّاريخ أنشئت لذكرى الهولوكوست للتذكير بمأساة يهود أوروبا وجمع تعاطف المجتمع الدولي وتهدف خاصة إلى توحيد وجمع يهود العالم وتشريع زرع كيان جديد واغتصاب ارض وبالتالي خلق محرقة جديدة لشعب آخر ووضع ذاكرته وتاريخه وهويته في خطر.

إنّ هذا الصنف من متاحف المصالحة، وكمتاحف تاريخ، لعبت دورا بالغ الأهميّة في حفظ ذاكرة الضحايا والتنديد بالجريمة ضد الإنسانيّة وجمع شتات اليهود ما مكنهم من كسب التعاطف ومساندة الرأي العام العالمي ومنه خلق دولة عرقيّة. وعلينا الإشارة هنا أن هذا النوع من المتاحف ليس فقط مكان لحفظ الذاكرة بل هو أيضا كاشف جيد للعناصر المكونة للهويّة واللاّوعي الجمعي، ما يوصلنا للحديث عن مهمّة أخرى لمتحف التّاريخ.

ب. متحف هويّة

بالنظر إلى مختلف أنواع المتاحف التي صنّفت كمتاحف تاريخ يتوجّب التأكيد على مدى أهميّة الهويّة في تكوين المتحف[٣٦]، ولكل أنواع المتاحف ولكن في سياقنا هذا تبرز لمتحف التّاريخ وظيفة هويّاتيّة أساسيّة في خدمة الهويّات المتداخلة: الهويّة الوطنيّة، والهويّة المحليّة أو الهويّات الفرديّة والأقليّة. فالهويّة المحليّة تبدو للوهلة الأولى الأكثر احتفاء في المتاحف ومنذ القرن التاسع عشر، حتى أنه يمكننا القول أنّ هذه الظاّهرة آخذة في الازدياد، مما يعكس قيمة الملاذ الآمن للهويّة المحلية في مواجهة البناء الأوروبي والعولمة. فمتحف التّاريخ يعزز الوعي بالانتماء إلى نفس الأمّة أو المجتمع أو الإقليم ويذكي الشعور بالفخر تجاه الماضي والتاريخ المميّز والخاص، وبالتالي ثقافة فريدة من نوعها. أوكلت لهذا النوع من المتاحف مهمة أن يكون مكانا رمزيّا للتعبير عن الأمّة (..) واجبه دعم الشعور بالانتماء للمجتمع بتشجيع وتحفيز بروز هويّة جهويّة أو إقليميّة، شعورا بالانتماء قد يؤجج المنافسة مع الدّولة المركزيّة[٣٧]. ونشير هنا أن المجال أو الإقليم هو رمز هويّاتي وعليه متحف الإقليم باعتباره متحفا للتّاريخ هو رمز للهوية المجاليّة أو الإقليميّة ويمكن " أن يكون جزء من منظور الهويّة للدفاع عن تاريخ الأمّة أو المجتمعات، كما يمكن لمتحف التاريخ أن يكون بمثابة بيان عسكري متشدد لصالح طائفة (مثل المتحف البروتستاني في فرنسا) أو لصالح رؤية سياسيّة أو حتى قيمة جماعيّة"[٣٨]. وفي نفس السياق نستشهد بالمثال الفرنسي، حيث نلاحظ "كثافة متاحف التاريخ في الربع الشمالي الشرقي من البلاد لا سيّما في المناطق الحدودية، الألزاس (Alsace) واللورين (Lorraine)

والشمال، مما يترجم تأثير الحروب القويّ والوقائع العسكرية على عدد المتاحف التاريخ[٣٩]، يتحول بذلك متحف التاريخ إلى خط دفاعي متقدّم عن الهويّة والانتماء أمام الآخر. وهذا يترجم أيضا الرغبة في حماية الهويّة الوطنية أمام هويّة بلد مقابل، يعني وجوب زرع مؤسسات رمزيّة تجسّد هذه الهويّة الوطنيّة في المناطق الحدوديّة، دون أن نغفل أن " الحروب الثلاث ضد ألمانيا تحتل الصدارة في المشهد المتحفيّ المخصّص للحقب أو الأحداث، جاعلين من الصّراع الفرنسي الألماني عنصر بناء للهويّة الفرنسيّة كما تبرز في المتاحف"[٤٠].

إن الدّور الهويّاتي الذي يلعبه متحف التّاريخ أساسيّ ومهم للتعامل مع انحلال الهويّة محليّا ووطنيّا ومجتمعيّا. خاصة في عصرنا هذا الذي يشهد – وكما أشرنا سابقا–ثورة تكنولوجية ورقمية يسرت الانفتاح على الآخر وتسارع وتيرة العولمة وهيمنة ثقافة ونمط عيش واحد وفتح الباب على مصراعيه للاغتراب الثقافي.

متحف التّاريخ إذا هو حام الهويّة المحليّة والجهويّة والوطنيّة وحارس للتنوّع الثقافي والخصوصيّة. رغم أنّ الهوية "لم تعد تظهر ككيان نهائي ولكن باعتبارها تعدد أصوات استطراديّة في قبضة الطفرات الإجتماعية والتركيبات الخياليّة أكثر من كونها تعبيرا ماديّا"[٤١].

تجدر الإشارة إلى أن هذا الصنف من المتاحف لا يدعو إلى الإنعزال والإنغلاق الثقافيّ وعدم التسامح تجاه الآخر، بل العكس، رسالته يجب أن تكون واضحة: الوعي بالهويّة والتاريخ والثقافة بالمقارنة مع الثقافات الأخرى في أطار التنوّع والإثراء.

ج. غايات أخرى

لمتحف التاريخ مهام عديدة يضطلع بها كمهمّة التعليم ودوره في الإقتصاد كجاذب ومنشط للسياحة. وكحافظ للتّاريخ يحفظ إرث الماضي ويهدف إلى إعادة بناء إشكاليّة هذا الماضي لفهم أفضل لما كان واستخلاص الدروس لبناء المستقبل والحاضر واستشراف المستقبل. ولكي يفهم مجتمع ما حاضره يتوجّب عليه العودة إلى ماضيه ليتمكن من بناء مستقبله طالما لا نستطيع الفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، فالتاريخ الذي نحتفظ به وندرسه لا يعدو أن يكون تراكمات الزمن الماضي. ومع ذلك لا يجب أن يلغي أو ينفي التمسك بالماضي الابتكار والإبداع فمعرفة الماضي تثري خيارات الحاضر.

يشير "رئيس الجمعية الدوليّة لمتاحف التّاريخ إلى وجود وظيفتين أساسيتين لمتحف التاريخ: إعلاميّة أو إخباريّة وتذكاريّة، الإخباريّة هي في الواقع النشاط الأول الذي تتشارك فيه متاحف التاريخ، حيث تعطي الجمهور معرفة حول

الماضي تسمح له بفهم واضح للأحداث وترتيبها ووضعها في نصابها الصحيح، من خلال تتبع الزمن[٤٢]. في الواقع المهمة الإخباريّة ليست فقط في إطار مهمة التعليم موجّهة لكل العموم، بل هي، وفي سياقنا هذا، تعليم التاريخ كعلم: هذا المتحف يقدّم ويتمّم درس التاريخ لجمهوره أو زائره (من التلاميذ والطّلبة...) ونشير هنا إلى الزيارات البيداغوجيّة لتلاميذ المدارس والمعاهد وطلبة الجامعات، لشرح ومواصلة درس التّاريخ أين يجد طالب العلم نفسه أمام مجموعات حقيقيّة ومعروضات تدعم مكتسباته، إلى جانب أجواء المرح والإمتاع والترفيه المرافقة للزيارة. إن " جولة في أروقة وقاعات عرض متحف تلخص عشرات الصفحات من كتاب مدرسي، وبتقديم قطع معروضة تجعل الزائر يتساءل ويدرس ويحلل بأكثر عمق ويكون أكثر إلهاما سواء كان حرفيّا أو فنانا أو باحثا أو فيلسوفا أو مدرّسا أو موظّف..."[٤٣].

وعليه فإنّ المهمّة الإخباريّة لمتحف التّاريخ أنجزت لكل الزوار على اختلاف أنواعهم. ولكن هناك من يرى أن "الوظيفة التعليمية للمتحف يطالب بها كثيرا ولكن نادرا ما يتمّ تنفيذها بنجاح وهي بعيدة كل البعد عن كونها أولوية"[٤٤]، ولتجاوز ذلك يجب التعويل على برنامج المتحف العلمي الذي يلعب دورا أساسيا في المهمة البيداغوجيّة للمتحف.

لمتحف التاريخ وظيفة اقتصاديّة تتمثّل خاصة في الجذب السياحي على مستوى جهويّ ووطنيّ وعالميّ، هناك دائما أولئك الذين لديهم شغف بالتاريخ وخاصة التاريخ الجهويّ وبالشخصيّات التاريخيّة والرموز والأبطال ...، لهذا السبب متحف المجال أو الإقليم ومتحف السيرة الذاتية أو الشخصية ومتحف الحقبة التاريخية هي متاحف مثيرة للفضول والرغبة في الزيارة واكتشاف مجموعاتها. وعلى سبيل المثال، الجمهور الإقليمي الذي يريد معرفة المزيد عن المنطقة معنيّ برسالة المتحف الإقليمي. كذلك بالنسبة لمتحف الشخصية أي يكون لكل شخصية معجبون وأحباء مهتمون، بمعنى أنه كلما كان المتحف متخصّصا كلما كان الجمهور المستهدف مهمّا.

يمكننا القول هنا أن هذا النوع أو الصنف من المتاحف هو متحف ذاكرة وهويّة في المقام الأوّل، لأنّه يحافظ على الذاكرة الجماعيّة المشتركة وبالتالي الهويّة. كما لا يخفى أنه متحف إيديولوجي ينشر ويكرّس بوضوح إيديولوجيا ويندّد بأخرى. يكفي أن نشير إلى أن كلّ متحف لا يرى النور إلا بعد قرار سياسي، وبالتّالي مهمّته السياسيّة تضاف إلى مهامه الأخرى التي سبق ذكرها.

نختم هذا الجزء بمجموعة من الأسئلة: هل هناك أشكال وأصناف أخرى من متاحف التّاريخ، وهل

يمكننا جرد جميع متاحف التّاريخ وتحديدها بشكل نهائي أم أنّ هذه المهمّة صعبة إن انتفت استحالتها طالما أنّ حضارة الإنسان في تطوّر مستمرّ ولا نهائي وهو ما ينسحب على مجال المتحف أين لا تتوقّف الابتكارات والتجديد حتى أصبحت ظاهرة مميّزة.

مبحث *ثالث*: متاحف التاريخ عبر التاريخ: تغييرات مشهودة وتداخلات في التسميات

شهد المجتمع تحوّلات ومستجدّات كبيرة خاصة منذ نهاية القرن الثّامن عشر وتسارعت الأحداث التي تستوجب إنشاء متاحف لحفظها والاحتفاء بها، إلى جانب الإنفتاح على حضارات أخرى. كلّ هذا أدّى إلى ظهور تصنيفات للمتاحف وفق مقاييس مختلفة بما في ذلك تصنيف متاحف التّاريخ التي تعدّدت أشكالها، فتبرز أهمّية الإطار التّاريخي في ظهور وتتطوّر مختلف هذه الأصناف المتحفيّة – التي قد يأخذ بعضها شكلا جديدا–وفي تحديدها. فهل أوحد المجتمع هذا الصنف من المتاحف (متحف التاريخ) ليعيد كتابة وصياغة تاريخه الوطني أو الجهويّ أو لحفظه والاحتفاء به ودراسته وعرضه، أم هي أسباب إيديولوجية فيكون بذلك متحف التّاريخ جديرا بأن يكون متحفا دلاليّا؟

١. متاحف التاريخ الوطني أو القومي خلال القرنين الثامن والتاسع عشر

بدأت المتاحف تسهم في زيادة الوعي وتكوين الهوية الوطنيّة في أوروبا، وكانت أكثر المؤسّسات ملاءمة للحفاظ على التراث التّاريخي للأمة، لا يزال هذا الدور قائما حتى يومنا هذا وتزداد أهميته عادة في المتاحف الوطنية للبلدان حديثة النشأة أو التي اجتازت مرحلة تحوّل فتوسّع إنشاء المتاحف لتلعب هذا الدور[٤٥]. تجمع تجمع هذه المتاحف مجموعاتها بهدف تقديم زمني متطور وتاريخي وإثني مع إثارة الوعي الوطني، وتشمل أصناف مختلفة منها متاحف الآثار والمتاحف الوطنيّة والتذكاريّة وغيرها. وتجدر الإشارة أن هذه المتاحف تعمل كمراكز بحث تقدم عدد هاما من البرامج البحثيّة العلمية الكبيرة.

٢. القفزة النوعيّة لمتاحف التاريخ خلال القرن العشرين

مثّل القرن العشرين منعرجا كبيرا في تاريخ البشريّة وعرف تحوّلات كبيرة شملت جميع الميادين، لعلّ أبرزها الحرب العالمية الثانية وتبعاتها، لم يكن المتحف بمنأى عنها فتطوّرت متاحف وغيرت مهامها وبرزت متاحف أخرى جديدة لغايات جديدة.

أ. **المتاحف الإثنيّة أو العرقية**

برزت هذه المتاحف خلال القرن ١٩، في سياق تاريخي اتسم بانفتاح على حضارات مختلفة وثقافات متنوعة مدعومة بالاكتشافات والرحلات وبالتوسع الاستعماري، مما خلق الوطنية والشعور بالإنتماء لمجتمع دون آخر وبالتالي الحاجة الدفاع عن الذات أو الانتماء وحماية وتثمين ثقافته. لذلك تعرف كالتالي: "هي المتاحف المعنية بحفظ وصيانة وعرض المقتنيات التي تتعلق بعرق الإنسان، أي الدراسة المنهجية للعرق والثقافة البشريّة. ومن أهداف المتاحف العرقية الحفاظ على تراث الجماعات العرقية من الاندثار نتيجة للحداثة والانفتاح العالمي، والتهديد الذي تواجهه مثل هذه الجماعات في الحفاظ على تقاليدها وتراثها دون تغير، فهي تتطرق إذا للعادات والتقاليد والثقافة الخاصة بمجموعة عرقية ذات طابع خاص"[٤٦]. ورغم أنه في البداية متحف للفنون والتقاليد الشعبيّة إلا أنه لا تخفى في هذا التعريف التوجه الإيديولوجي والسياسي للمتحف أو لرسالته.

ب. **متاحف الهولوكوست (المحرقة اليهودية) والمصالحة (Réconciliation)**

برزت هذه المتاحف إثر انتهاء الحرب العالمية الثانيّة التي باءت بأوزارها، وصدم العالم بكارثيتها والجرائم ضد الإنسانيّة كالمحرقة اليهوديّة في هذا الإطار برزت «الرغبة في الحفاظ، لأغراض مدنية وتعليميّة، على ذكرى مآسي الحرب العالمية الثانية ولا سيما نيّة الحفاظ على ذكرى مشروع إبادة اليهود من القبل النازيين مما دفع إلى فتح أكبر عدد من متاحف التاريخ في أماكن عدة من العالم خلال العشريات الأخيرة من القرن العشرين[٤٧]". تسمى أيضا متاحف المصالحة، أنشئت للمحافظة على ذكريات وذاكرة مآسي الإبادات الجماعية وصدمات الحروب والرق.

ونشير هنا أن جرائم الإبادة لا تقتصر على اليهود، نذكر على سبيل المثال إبادة مسلمي البوسنة والهرسك في يوغسلافيا السابقة. ثم لحفظ ذكريات الإضطهاد والقمع وجرائم الأنظمة الإستبدادية، كتحويل سجن الغولاغ (Goulag) في الإتّحاد السوفياتي سابقا إلى متحف للتاريخ. كرست هذه المتاحف انتشار النضال من أجل حقوق الإنسان. إن التقاء المتحفة وفكرة المصالحة وإن تشير إلى البعد الانثروبولوجي للعاطفة فإنها تحفظ ذاكرة التاريخ وتتجاوز صعوبة تجسيد العنف ونكرانه.

٣. متاحف المجتمع (Musées de sociétés)، المدن(Musée de ville)، الحضارة (Musée de civilisation): إشكاليّة المصطلحات

إنّ التنوّع الكبير في أصناف وأشكال المتاحف يؤدي إلى الخلط والضبابيّة، وفي سياق البحث عن ماهية متحف التاريخ من المفيد التطرق إلى متاحف تنتمي لمتاحف العلوم الإنسانية أو تلك التي هي في جانب منها تعد متاحف تاريخ ومقارنتها وتقصّي نقاط التشابه إن وجدت وتبيّن خصوصية كل منها. أليس من الممكن أن تتطابق كلها في الرّسالة وتختلف فقط في التسمية؟

أ. **متحف المجتمع (Musée de la société)**

إنطلاقا من التسميّة يبدو أن هذا المتحف موضوعه المجتمع، وإذا استحضرنا البعد الاجتماعي المؤسس للمتحف كما سبق الذكر وتوجه المتحفة الجديدة (La nouvelle muséologie) المتمثل أساسا في تكريس" المتاحف ذات البعد الإجتماعي والسياسي في محتواها، فيظهر علماء الإثنولوجيا (Les éthnologues) والأثاريين (Les archéologues) هم بلا شك الأكثر اهتماما وتأثرا بالمقاربات الانثروبولوجية للوقع وللمفهوم الشامل للتراث الطبيعي والثقافي الذي شهد نماء مع المتحفة الجديدة"[٤٨]. ازدهر هذا الصنف من المتاحف خلال الفترة المعاصرة "ففي التسعينات تعد فرنسا أكثر من ألف متحف مجتمع – وفق تسمية ضبابيّة–تعلّق الأمر بمتحف التقنيات والمصانع بالوسط الريفي وبالثقافات الجهوية –انطلاقا من المتاحف الصغيرة المحلية إلى المتاحف التأليفية أو الشمولية الكبرى– ثقافات حضرية متاحف أكثر في خطواتها التراثيّة، وحتى حدائق الهواء الطلق التي لاقت نجاحا مشهودا"

كرّست متاحف المجتمع رهانات وإشكالياتها الذاكرة والأحلام أو الطموحات ووسائل الترفيه، لتعكس بهذا التوجه الذي اتخذته من عرض وتثمين مكونات مخيال المجتمع، وبالتالي تبنّي رؤية ومهمة متحف العرق أو الإثني. طالما مهمته تقديم تاريخ وثقافة وتحضر واقتصاد وفنون مجتمع ما، وهذا ما يذكرنا بمهمة متحف الفضاء المفتوح والمتحف البيئي في بعض الحالات ودائما حسب التعريفات الرسمية لهذه المتاحف.

وبناء على ذلك يمكن أن نفهم أنّ متحف المجتمع هو متحف مجالي وفي بعض الحالات هو متحف تأليفي وكما سبق وأشرنا متحف التّاريخ هو متحف تأليفي وبالتّالي متحف المجتمع هو بدوره متحف تاريخ. وتجدر الإشارة إلى "وجود صنف آخر من متاحف المجتمع وهي التي تعود إلى مجموعات أو مؤسسات علمية بحثيّة أو صناعيّة، وهنا لا نجد أي توضيحات للمحتوى"[٤٩].

ب. متحف المدينة

يحكي متحف المدينة، كما تشير التسمية، " تاريخ المدينة التي يوجد بها أو أنشئ لتقديمها، يشمل تاريخ المدينة وأهلها، حاضرها وماضيها والتخطيط لمستقبلها، والعمران أو التخطيط العمراني بها في الماضي، والحاضر والمستقبل "[٥٠].

وجد هذا المتحف في سياق اتسم بتحول المدن إلى موضوع دراسة للتاريخ الحضري، إلى جانب أنّ المدينة ومنذ ظهورها كان لها دور فعال ومؤثّر: بحضورها الفعلي واستمراريتها وتمثّلاتها التي تولدها وكونها في ذات الوقت تراثا ماديا ملزما وظاهرة قرار"[٥١]. وبيّن أحد المختصين في المتحفة " أنّ متحف المدن يمكن أن يعرض تحليلات حديثة عن التاريخ، والجغرافيا أو عن علم الاجتماع الحضري يوفر صورة عصر ذهبي عاشته أو تعيشه المدينة وأيضا رسم بديلا للوضع الراهن للأشياء وفي هذه الحالة له مسؤولية التوعية السياسية والاجتماعية، فمتاحف المدن تعدّ نوعا مركبا، وغير واضح الحدود، بين المتاحف الجهويّة (Musées régionaux) ومتاحف البيئة، وهذا ما يبقي الكثير من الشكوك"[٥٢].

يتضح جليا أنّ متحف المدن معنيّ لا فقط بتاريخ وجغرافية المدن بل بجوانب أخرى كثيرة، وهي نفس مشاغل متحف التاريخ الشمولي ومتعدد الاهتمامات. بالإضافة إلى أنّ "مفهوم متحف المدن ظهر مؤخرا بهدف تجديد العروض المتحفيّة للمدينة بإدخال مختلف المقاربات في عروض متحفيّة مؤقتة مثلا ولا تهمل الوقع الراهن"[٥٣]. إضافة إلى أنه في البداية متحف جهوي أو متحف مجال أو إقليم بالنظر خاصة إلى مجموعاته التي لا تختلف عن مجموعات المتحف التأليفي الشمولي.

ج. متحف الحضارة (Musée de la civilisation)

متحف الحضارة هو مفهوم جديد برز في القرن الماضي علما أن "المفهوم المتحفي يتم تحديده من خلال مجال بحثه أو تحقيقه، والحضارة هي كل المظاهر الماديّة ومنتوجات ومؤشرات وأدلّة وعلامات خارجيّة للمظاهر الروحيّة وكل ما يتصل بالنشاط الإنساني"[٥٤]، وهذا يدل على أن مجموعات متحف الحضارة شديدة التنوع. ولتكون الصورة أوضح بخصوص هذا النوع من المتاحف مهامه وأهدافه وتعريفه نورد أشهر مثال لهذا الصنف وهو متحف الحضارة بالكيبيك (Québec) الذي تغيرت تسميته وأصبح متحف التاريخ الكندي (Musée de Civilization Canadien) ويسمى أيضا متحف أوتاوا (Ottawa) وهو ذو صيت عالمي. وتتمثل مهامه في:

– التعريف بتاريخ ومختلف مكونات حضارة الكيبيك خاصّة الثقافة الماديّة والاجتماعيّة لسكان المجال والمساهمات الخارجية التي أثرتها.

– ضمان المحافظة والتثمين للمجموعات الإثنوغرافيّة أو الإثنيّة وبقية المجموعات التي تمثّل حضارتهم.

– ضمان حضور الكيبيك ومشاركته في الشبكة الدولية للتظاهرات المتحفيّة بمقتنياتها وبعروض وأنشطة ترفيهيّة.

يعرف متحف الحضارة كمتحف موضوع، يعني أنه يجمع عناصر أو قطع معرفية متباينة في ما بينها لإيجاد وإنشاء الرابط والصلة بينها انطلاقا من فكرة قوية قائمة على حقائق الحضارة المعاصرة أو ثقافات أخرى[٥٥].

كونه متحف موضوع أو قضيّة فهو يندرج ضمن متاحف التّاريخ، وطالما إنشاء المتاحف هو استجابة لمقتضيات جديدة وحاجات للمجتمع مدعومة بتأثيرات التوجه الاجتماعي للمتحفة الجديدة كما سبقت الإشارة. وعندما واجهت متاحف العرق (Musée ethnographique) أزمة كبيرة رأينا " تدريجيّا عددا من المؤسسات المتحفيّة على غرار أولى متاحف البيئة تشتغل على المجتمع الحالي، لتفضي لولادة مفهوم متحف المجتمع"[٥٦]، ثم هذا الأخير متحف المجتمع المنبثق عن متاحف العرق أو الإثنيّة، وفي مستوى آخر يؤدي ويفضي إلى متحف الحضارة [٥٧].

نخلص بهذا العرض أن كل من متحف المجتمع ومتحف المدن ومتحف الحضارة هي متاحف تاريخ أوّلا وأخيرا رغم اختلاف التسميات.

كما يمكننا القول أنّ هذه الأصناف المذكورة هي بالضرورة متاحف تاريخ سواء من خلال مهمتها ورسالتها التي توجهها أو من خلال مجموعاتها أو كذلك من خلال تصورها وتنفيذها، والإختلاف الوحيد يكمن في التسمية. وندعم استنتاجنا هذا برأي المتحفي جورج هانري ريفيار القائل:" أنا أعارض التسمية التي أطلقت على هذه المتاحف مؤخرا، لأنني أجد هذا الابتكار اللغوي سلبيّا تماما، يمكن وصفه بالتجديد المسيء إذا كانت الكلمة نفسها لم تودد بالفعل. وهذا ليس تحفظا وليس لأن مصطلح "متحف المجتمع" يبدو أنه يريد الالتفاف وتحويل مصطلح "متحف حضارة" المستعمل حتى هذا الحين.

يبدو جليّا أن هذا التجديد كان عن حسن نيّة بغرض المساعدة في التفريق بين المتاحف الفنون الجميلة وبقية المتاحف. ونستنتج بذلك أننا نتعثر مباشرة في غياب مصطلح مشترك للإشارة لكل متحف ليس متحف فنون جميلة"[٥٨]. وهنا يتضح أن كل تلك التسميات ظهرت للتفرقة بين بعض أنواع المتاحف التي تعرض مجموعات جديدة أو تعتمد طرق عرض مختلفة

وحديثة وتمييزها عن غيرها، ولكننا لا نستطيع تجاهل تداخل وتعدد التخصصات (Pluridisciplinarité) في هذا الموضوع طالما يجب الأخذ بعين الاعتبار دائما الجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

أخيرا يتضح جليّا أن كل متحف له ماهيته الخاصة به، إذ يحمل تصوّر بعثه وتأسيسه هويّته وتعريفه ومهمته ودوره، وعليه فكل متحف هو شكل وماهيّة منفردة منذ بدايته، حيث يكون الدافع لإنشائه هو المعرف والمصنّف والمحدد لرسالته ولدوره في المجتمع.

IV. الخاتمة

المتحف هو مؤسسة رمز، تقدم وتعرض صورة المجتمع الذي أسّسها وتعكس صورة الإنسان في ظرفياته وأبعاده الزمنيّة والمكانيّة. فللمتحف والإنسان تماثلات عديدة، إذ يلتقيان كلاهما في البدء والنمو. كلاهما يولد وينمو ويتطور، ويتجلى صدى تحولات وتطور وطفرات الإنسان في مؤسسة المتحف، وهو ما يفسر التنوع الكبير والتعدد في الأشكال المتحفيّة والوظائف والمهام. وتأتي استفادة المتحف من تطورات المجتمع الفكرية والعلمية والتقنية والتكنولوجية الرقمية لتلبية حاجيات مختلف رهانات وتطلعات نفس المجتمع (التاريخية الثقافيّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والايديولوجيّة...) والتي توكل لمتحف التاريخ، متحف الفكر الذي تطور استجابة لتصوّر وتمثّل محدد لخدمة الإنسان وتجذّره في بيئته. يحمل متحف التاريخ تعريفه في فكرة وغاية بعثه نفسها، رغم أننا عندما نعرّف ماهيّة شيء فنحن نحدده ونثبّته وهو ما يتنافى وصفة التجدّد والتطور الملازمة للمتحف. لذلك يصعب أيجاد تعريف نهائي ثابت للمتحف ولنفس السبب لا نستطيع تصنيفه، وهو ما يشرّع حديثنا الدائم عن تعريفات وليس تعريفا وعن تصنيفات تتغير وتحيّن في كل مرة. ويصبح التركيز على تعدد الاختصاصات وتداخلها، إلى جانب البرنامج العلمي للمتحف، جزء أكيدا ولا مفر منه في تناول المتحف.

V. نتائج البحث

- ❖ المتحف مفهوم ثم مؤسسة مرافقة للإنسان منذ بداياته واكب تطوّره عبر التاريخ، وهو مؤسسة اجتماعية تلبّي حاجات المجتمع الذي تمثله وتعكسه.
- ❖ استفاد المتحف ممّا وفره التطور الفكري والعلمي والتقني والتكنولوجي في أدائه مهامه وفي مختلف وظائفه فتعددت أصنافه وأشكاله.
- ❖ المتحف في تعدد تعريفاته التي تعد بدورها تعددا في أصنافه وأشكاله، هو التزام بمتطلبات المجتمع الإنساني المتطوّر، هو مؤسسة حيّة متطورة متجدّدة.

❖ متحف التاريخ أو متحف الفكر مفهوم متعدد ومتجدد يصعب تحديده لارتباطه بالفكر الإنساني حتى يصبح لكل متحف تعريفا وماهيّة تخصّه مرتبطة بالتصوّر الذي أحدثه.

❖ متحف التاريخ هو متحف شمولي وهو بالضرورة متحف ذاكرة وهويّة، تأسّس للحفاظ على ذاكرة المجتمعات وتغذية الشعور بالانتماء إلى مجموعة دون غيرها تجمعها وحدة الماضي والحاضر والمستقبل.

❖ أهمية تداخل وتعدد الاختصاصات في العلوم الإنسانية عامة وخاصة في التاريخ والمتحفة.

❖ استمرار تطوّر المفهوم المتحفي وضرورة تحيينه وتعدد أنواعه خلال الحاضر والمستقبل أمر بديهي تلبية لرهانات الحاضر والمستقبل.

متحف التاريخ كان – ولا يزال –أداة بناء اجتماعي وليد ظرفية تاريخية محددة إلى جانب دوره الثقافي والاقتصادي وخاصة الإيديولوجي السياسي

VI. معوقات وحلول

لئن كانت كثرة المتاحف وتنوّعها نتاج التطوّرات التي عرفها المجتمع والتي شملت جلّ المجالات مما أفرز صعوبة تصنيف المتاحف وتداخل في المقاييس المعتمدة لذلك، فانّ تطوّر المتحف نفسه منذ إنشائه وعلى مرّ الزمن قد يجعله يغيّر تصنيفه أو انتماءه إلى صنف محدّد وهوما يزيد الأمر تعقيدا. ولهذا تبرز أهميّة دراسة الظرفية التاريخيّة التي أفرزت وجود المتحف، ثم غايته ومهامه، في تحديد ماهيته وتصنيفه، وضرورة اعتماد منهج التقصّي التاريخي لتبيّن تصنيف واضح وبالتالي محاولة تحديد ماهيّة متحف التاريخ.

VII. مناقشة النتائج

إن استفادة المتحف من التطوّر التكنولوجي وخاصة الانترنت والتكنولوجيا الرقمية هام ومبشّر بمزيد من الانفتاح والتطور والنجاعة في وظائفه ومهامه ...، ولكن قد تزيد من عزلته الواقعية وعزوف الجماهير عن زيارته طالما الزيارات الافتراضيّة موجودة.

أغلب الدراسات والبحوث تركز على مهام ووظائف المتحف الثقافية التعليمة والاجتماعية وحتى الاقتصاديّة والترفيهيّة هي من قبل مختصّين في المتحفة أو في العلوم المتّصلة بالتاريخ أولا ثم العلوم الإنسانيّة وفي غياب مساهمات كل العلوم والاختصاصات تبقى المقاربات منقوصة. خاصة في غياب المتلقي لرسالة المتحف ونعني جمهور المتاحف الذي يتوجب تشريكه في الدراسات المتصلة بالبرامج العلمية للمتحف مثلا.

إذا كان متحف التاريخ هو مفهوم هلامي مازال في طور التشكّل ويتّضح مع الوقت لاقترانه بواقع متحوّل، ومع اتجاه هذا الواقع المتغيّر شيئا

فشيئا نحو اللاماديّة والافتراضية فإن ظهور مفاهيم وأشكال متحفيّة جديدة أمر جدّ متوقع لكنّها ستكون تحولات وتغييرات طارئة على متحف التاريخ نفسه.

VIII. توصيات

- ارتباط المتحف بالإنسان ومجتمعه المتحول يجعل منه مجال بحث متواصل ومن المفيد تكريس البحوث والدراسات المتحفيّة على مستوى مفاهيمي نظري وتطبيقي وعلى مستوى تشريعي قانوني خاصّة.
- ضرورة التعاون والعمل إقليميا ووطنيا لتقييم التجارب المتحفيّة لتكون مرجعا للباحثين
- تكثيف الندوات الرامية إلى تحيين المفاهيم المتحفيّة وتجديد المقاربات البحثية.
- العمل على استشراف رهانات المجتمع وإعداد استراتيجيات لعمل المتحف ليكون أداة فعّالة وفق رؤية واضحة وبرنامج علمي متقن وهادف. مع الحرص على تشريك كل الاختصاصات العلمية والفاعلين الاجتماعيين وكل ما يساهم في خلق تصوّر شمولي للمتحفة.
- تحديد معالم المتحف الذي نروم إنشاءه وتركه للأجيال القادمة.
- المزيد من العمل على إدماج المتحف في مجتمعه وتجذير دوره مع تشريك أوسع للجمهور.

المراجع الببليوغرافيّة :

١ كتاب إدارة المتاحف، دليل علمي .المجلس الدولي للمتاحف. اليونسكو (بدون تاريخ). ص١ ١

نفس المرجع السابق .ص١ ٢

٣ نفس المرجع السابق ص ١ ٣

راشد (محمد جمال)، "أنواع المتاحف ومعايير تصنيفها"، مجلّة الإتحاد العام للأثاريين العرب. المجلّد ٢٢ العدد ١ ،٢٠٢١ م. ص٧٣٧ ٤

٥تتالت التعريفات وإعادة التعريفات على مدار يتجاوز النصف قرن خلال اجتماعات المجلس الدولي للمتاحف وهي على التوالي في اجتماع جويلية ١٩٥١ أتبع بتعديل في اجتماع نوفمبر ١٩٦١ وفي اجتماع ١٩٧٤ ثم عدّل في اجتماع لاهاي سنة ١٩٨٩ أتبع بتعديل سنة ١٩٩٥ ثمّ اجتماع المجلس بإسبانيا سنة ٢٠٠١. ونجد تفاصيل هذه التعديلات في الدّراسة التّالية:

Mairesse (François), Définir le musée du XXIème siècle. Matériaux pour une discussion. ICOFOM. Paris 2017.

دباغ (تقي) و رشيد (فوزي)، علم المتاحف. وزارة التعليم 6العالي والبحث العلمي.١٩٧٩.

7 Mairesse (François), Définir le musée du XXIème siècle. Matériaux pour une discussion. ICOFOM. Paris 2017.p1-25.

8 Statut de l'ICOM, adopté par la 22ème Assemblée générale de l'ICOM (Vienne, Autriche, 24 Aout 2007), article 3.Disponible sur internet :

http://archives.icom.museum/statutes_fr.html#3

9 Mairesse (François), « Etude sur l'opportunité, l'étendue, les raisons et la valeur ajouté d'un instrument normatif sur la protection des musées et des collections (aspects muséaux)». Decembre2012, pp8-11.

10 Bergeron (Yves), Carta (Jenniver), « Repenser la formation professionnelle en muséologie », ICOFOM Stady Series , 43.2015. pp49-50.

11 Mairesse (F), « Etude sur l'opportunité, l'étendue, les raisons et la valeur ajouté d'un instrument .. » p12.

12 نفس المرجع السابق .صص.١٢-١٤ .

13 تجدر الإشارة هنا أنّ هذا المبحث من هذه الدّراسة وفي جانب منه مثّل جزء من أطروحتنا المقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه نوقشت في كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعيّة بتونس في ماي ٢٠١٧ تحت عنوان: Projet d'un musée d'histoire dans le nord-ouest Tunisien ; événements, personnalités et société (مشروع متحف تاريخ للشمال الغربي التونسي : الأحداث والشخصيات والمجتمع)

14 Veyne (Paul), Mandrou (Robert) et Palmade (Guy), article « Histoire », in l'Encyclopaedia Universalis corpus 11,

France SA. Editeur à Paris 2008, pp. 463- 467.

عثمان (حسن)، منهج البحث التاريخي ، الطبعة الرابعة 15١٩٦٤. دار المعارف. القاهرة، ص١١

فوكياما (فرنسيس)، نهاية التاريخ، دار العلوم 16العربية.بدون تاريخ.ص ١٦

نشير هنا أن دراسة مفهوم متحف التاريخ مثلت جزء هاما من أطروحتنا المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم 17الإنسانية والاجتماعية بتونس بكلية بعنوان " "

18 Joly (Marie- Hélène), Gervereau (Laurent), *Musées et collections d'histoire en France*, (guide), Paris, Association internationale des musées d'histoire. 1996.p١٤

19 Joly (M- élène), Gervereau (L), *Musées et collections d'histoire en France*, .p20

20 Mairesse (François) et Desvallées (André), *Vers une redéfinition du musée ?* Paris L'harmattan, 2007. p162/163

21 Di Meo (Guy), Castaingts (Jean Pierre), Ducournau (Colette), « Territoire, patrimoine et formation socio-spatiale (exemples gascons) », in *Annales des Géographie*, tome 102, №573, 1993, pp. 472-502.

22 Di Meo (G), Castaingts (J. P), Ducournau (C), « Territoire, patrimoine et formation socio-spatiale. pp. 472-502.p480

23 Gervereau (Laurent), « Avons-nous besoin de musées d'histoire ? » Essai de typologies comparées et perspectives. Colloque des 18 et 19 juin 2009. INP, France. www.decryptimages.net. P4

24 Joly (M- H), Gervereau (L), *Musées et collections d'histoire en France*,. p2٧

راشد (محمد جمال)، "أنواع المتاحف ومعايير تصنيفها"، مجلّة الإتحاد العام للأثاريين العرب. المجلّد 2225 ٢٢ العدد ١ ، ٢٠٢١ م. ص٧٦١

26 Gervereau (L), « Avons-nous besoin de musées d'histoire ? » ..p4

27 Joly (M- H), Gervereau (L), *Musées et collections d'histoire en France*,.p37.

28 Gervereau (Laurent), « Avons-nous besoin de musées d'histoire ? », p4

29 نفس المرجع السابق ص.٤.

30 نفس المرجع السابق. ص.٤.

31 Joly (M- H), Gervereau (L), *Musées et collections d'histoire en France*,.p34.

32 نفس المرجع السابق ص.٣٤.

33 نفس المرجع السابق ص.٢٠.

34 Charlety (Véronique), « Fragment de mémoire, le musée historique allemand de Berlin » in *Politix*, vol 9, № 33, première trimestre, 1996, pp133-155.p141

35 D'Almeida (Fabrice), « Musée d'histoire, histoire dans le musée » in Vingtième siècle. *Revue d'histoire* № 37, janvier- mars 1993, pp. 148-150.

36 Chaumier (Serge), « L'identité, un concept embarrassent, constitutif de l'identité du musée », in *Culture &Musées*, N°6, 1994, p.21.

37 Chaumier (S), « L'identité, un concept embarrassant,..», p. 21.

38 Poulot (Dominique), -*Patrimoine et musée, l'institution de la culture*, Paris, Hachette livre 2001.p 175-176.

39 Joly (M- H), Gervereau (L), *Musées et collections d'histoire en France*,. p20.

40 نفس المرجع السابق ص.٢٠.

41 Chaumier (S), « L'identité, un concept embarrassent, ... », p.٣٦.

42 D'Almeida (Fabrice), « Musée d'histoire, histoire dans le musée » in Vingtième siècle. *Revue d'histoire* № 37, janvier- mars 1993, pp. 148-150.p149

43 Assogba (Romain-Philippe Ekanyé), « Développement des musées d'histoire en Afrique, expérience du musée d'histoire de OUIDAH » Congrée ICMAH, comité internationale pour les musées et collections d'archéologie et d'histoire, 14-19 mars 1994, Dakar-Sénégale. Edition ICMAH 1995. P94.

44 Joly (M- H), Gervereau (L), *Musées et collections d'histoire en France*, ... p٢٢

45 كتاب إدارة المتاحف.. ص ٣

راشد (محمد جمال)، "أنواع المتاحف ومعايير تصنيفها"، مجلّة الإتحاد العام للأثاريين العرب. المجلّد ٢٢ العدد ١ ٢٠٢١،46 م. ص٧٥٧

47 Poulot (Dominique), *Patrimoine et musée, l'institution de la culture*, Paris, Hachette livre 2001.p176.

48 Poulot (Dominique), *Musée et Muséologie*, Paris, La découverte 2005, et 2° édition 2009 .p30

49 Désvallées (A), « Le droit à l'existence pour des musées différents ... », , pp. 138-145.

راشد (محمد جمال)، "أنواع المتاحف ومعايير تصنيفها"، مجلّة الإتحاد العام للأثاريين العرب. المجلّد ٢٢50 العدد ١ ،٢٠٢١ م. ص٧٥٨

51 Bergeron (Louis), « histoire sociale », Encyclopaedia Universalis, édition Paris. France SA 1990

copus11, pp.499- 501.

52 Poulot (D), *Musée et Muséologie*, .p30.

53 Gob (André), Drouguet (Noemie), *La muséologie, histoire, développement, enjeux actuels,* Paris, Armand colin, 2003, et 2° édition 2006 .P55

54 Roger Lucat (Sophie), « Expériences : voyage d'étude au musée de la civilisation de Québec : plaidoyer pour un nouveau musée » in *Publics & Musées* №7,1995 pp. 118-129

55نفس المرجع السابق، ص١١٨/١٢٠

56 Mairesse (F) et Desvallées (A), *Vers une redéfinition du musée ?* .. p208/209.

57 نفس المرجع السابق ، ص ٢٠٩

58 Désvallées (André), «Le droit à l'existence pour des musées différents : et si on reparlait de la muséologie ? », in *Publics & Musées* №3, 1993, pp. 138-145